الفصل الثاني

للإصلاح والانفتاح اتجاه وموقف ومبادئ

لإصلاحنا وانفتاحنا اتجاه وموقف ومبادئ. ومن البديهي أن نرفع راية الإصلاح عاليًا، لكن إصلاحنا هو إصلاح يتقدم بلا انقطاع على طريق الاشتراكية ذات الخصائص الصينية، ولا يسير على الطريق القديم المتسم بالانغلاق والتحجر فكريًّا، ولا طريق الضلال المتمثل في تغيير الراية.

«خطابه عند زيارته التفقدية للأعمال في مقاطعة قوانغدونغ بجنوبي الصين» (في الفترة الممتدة من يوم ٧ إلى يوم ١١ ديسمبر عام ٢٠١٢).

الإصلاح والانفتاح ثورة عميقة، يجب التمسك باتجاهها السديد والمُضيّ بها قُدُمًا على الطريق السديد. الطريق يقرره الاتجاه، والمصير يقرره الطريق. والنجاح العظيم الذي تحقق في مجال الإصلاح والانفتاح في الصين، يرجع سببه الحاسم إلى أننا نتخذ من خط الحزب الأساسي شريانَ حياةٍ للحزب والدولة، ونتمسك دومًا وإلى الأبد بدمج البناء الاقتصادي كمحور والمبادئ الأساسية الأربعة وسياسة الإصلاح والانفتاح كنقطتين أساسيتين في الممارسات العظيمة للاشتراكية ذات الخصائص الصينية، ولا نسير على الطريق القديم المتسم بالانغلاق والتحجر فكريًّا ولا طريق الضلال المتمثل في تغيير الراية.

«كلمة الرئيس الصيني في الدراسة الجماعية الثانية لأعضاء المكتب السياسي للجنة المركزية الثامنة عشرة للحزب الشيوعي الصيني» (يوم ٣١ ديسمبر عام ٢٠١٢).

لا يمكننا القول - بعبارة عامة - أنَّ الإصلاح الصيني متأخر في مجال ما. ربما كانت خطوات الإصلاح سريعة أو بطيئة نوعًا ما في بعض المجالات أو فترة ما، لكن لا يوجد في الإصلاح الصيني عمومًا مشكلة تتمثل في أنَّ التغيير قد حدث في

بعض المجالات ولم يحدث في بعض المجالات الأخرى. وجوهر الفصل هو ما الذي يتوجب تغييره، وما الذي يتوجب ألا يتغير، وبعض الأشياء لا يمكننا تغييرها مهما طال الزمن. لا يجوز لنا تقليد الآخرين على نحو أعمى. إنَّ العالم يتطور، والمجتمع يتقدم، وإذا لم ننفذ الإصلاح والانفتاح، فلن يكون أمامنا سوى طريق مسدود، وإذا نفذنا «الإصلاح والانفتاح» الراميين إلى إنكار الاتجاه الاشتراكي، فلن يكون أمامنا سوى الطريق المسدود أيضًا. فلا بُدَّ لنا من المحافظة على اليقظة الواعية بشأن موضوع الاتجاه. واتجاهنا هو بالذات دفع عجلة التحسن والتطور الذاتيين للنظام الاشتراكي باستمرار، بدلاً من تغييره. فينبغي لنا التمسك بالمبادئ الأساسية الأربعة كأساس لبناء الدولة، وضمان الاتجاه السديد للإصلاح والانفتاح بالاعتماد على المبادئ الأساسية الأربعة، وأيضًا إضفاء مفهوم عصري جديد على هذه المبادئ من خلال الإصلاح والانفتاح، والتغلب على العوائق بكل أنواعها، لسلوك طريق الاشتراكية ذات الخصائص الصينية بثبات وبلا تردد.

«كلمة الرئيس الصيني في الدراسة الجماعية الثانية لأعضاء المكتب السياسي للجنة المركزية الثامنة عشرة للحزب الشيوعي الصيني» (يوم ٣١ ديسمبر عام ٢٠١٢).

نقول أنَّ الاشتراكية ذات الخصائص الصينية هي الاشتراكية لا غير، وذلك يعني أنَّ التمسك دومًا بطريق الاشتراكية ذات الخصائص الصينية ومنظومتها النظرية ونظامها، وبالمطالب الأساسية التي طرحها المؤتمر الوطني الثامن عشر للحزب الشيوعي الصيني لتحقيق نصر جديد للاشتراكية ذات الخصائص الصينية، مهما كان نوع الإصلاح والانفتاح.

«كلمة الرئيس الصيني في ندوة لدراسة وتطبيق روح المؤتمر الوطني الثامن عشر للحزب الشيوعي الصيني بحضور الأعضاء، والأعضاء الاحتياطيين الجدد في لجنة الحزب المركزية» (يوم ٥ يناير عام ٢٠١٣).

المهم في الوضع الجديد والمهام الجديدة والمطالب الجديدة، في موضوع تعميق الإصلاح على نحو شامل، هو تهيئة بيئة تنموية صالحة للتنافس العادل بصورة أفضل، وزيادة تقوية حيوية التنمية الاقتصادية والاجتماعية، ورفع فعالية وكفاءة الحكومة إلى مستوى أعلى، وتحقيق الإنصاف والعدالة الاجتماعيين إلى حد أكبر، وتعزيز التناغم والاستقرار الاجتماعيين على نحو أكبر، ورفع المستوى القيادي للحزب وقدرته على الحكم، إلى درجة أعلى.

«إيضاح حول (قرار اللجنة المركزية للحزب الشيوعي الصيني بشأن عدة مسائل هامة تتعلق بتعميق الإصلاح على نحو شامل)» (يوم ٩ نوفمبر عام ٢٠١٣) «صحيفة الشعب اليومية» (في يوم ١٦ نوفمبر عام ٢٠١٣).

لا بدَّ من زيادة تحرير العقول وزيادة تحرير وتطوير القوى المنتجة الاجتماعية، وزيادة تحرير وتقوية الحيوية الاجتماعية. إنَّ «زيادة هذه التحريرات الثلاثة» الواردة في قرار الدورة الكاملة الثالثة للجنة المركزية الثامنة عشرة للحزب، تمثل أهدافًا وشروطًا للإصلاح في آنٍ واحدٍ. فتحرير العقول هو شرط أساسي ومفتاح عام لتحرير وتطوير القوى المنتجة الاجتماعية وتحرير وتقوية الحيوية الاجتماعية. لولا تحرير العقول، لما استطاع حزبنا بُعَيْدَ انتهاء الاضطرابات الممتدة لعشر سنوات، اتخاذ القرار التاريخي حول نقل بؤرة أعمال الحزب والدولة إلى البناء الاقتصادي وتطبيق الإصلاح والانفتاح، والإيذان ببدء فترة تاريخية جديدة للتنمية في الصين؛ ولولا تحرير العقول، لما استطاع حزبنا مواصلة دفع عجلة الإبداع النظري والتطبيقي في الممارسات، والإزالة الفعالة للمخاطر والتحديات بكل أنواعها على طريق التقدم، ومواصلة دفع الإصلاح والانفتاح قُدُمًا والسير دومًا في مقدمة قطار العصر. إنَّ تحرير وتطوير القوى المنتجة الاجتماعية وتحرير وتقوية الحيوية الاجتماعية هي نتيجة حتمية، وأيضًا أساس هام لتحرير العقول.

«لنُوَحِّدَ أفكارنا فعلاً لتوفيقها مع روح الدورة الكاملة الثالثة للجنة المركزية الثامنة عشرة للحزب الشيوعي الصيني» (يوم ١٢ نوفمبر عام ٢٠١٣) مجلة «البحث عن الواقع» العدد الأول لعام ٢٠١٤.

من أجل إنجاز بناء مجتمع رغيد الحياة على نحو شامل وتحقيق التحديثات الاشتراكية وتحقيق النهضة العظيمة للأمة الصينية، تتمثل المهمة الأكثر جذرية والأشد إلحاحًا، في زيادة تحرير القوى المنتجة الاجتماعية وتطويرها. فتحرير العقول وتحرير وتقوية الحيوية الاجتماعية يهدفان إلى تحرير القوى الاجتماعية المنتجة وتطويرها على نحو أفضل. كان الرفيق دنغ شياوبينغ قد قال: إنَّ الثورة ترمي إلى تحرير القوى المنتجة، والإصلاح يرمي أيضًا إلى تحرير القوى المنتجة، «وبعد إقامة النظام الأساسي للاشتراكية، علينا العمل أيضًا على تغيير الهيكل الاقتصادي المُقَيِّد لتنمية القوى المنتجة نهائيًّا، وإقامة هيكل اقتصادي مفعم بالنشاط والحيوية للاشتراكية، سعيًا وراء دفع تنمية القوى المنتجة قُدُمًا» وينبغي لنا أن نقوم من خلال تعميق الإصلاح، بجعل حيوية جميع العناصر الأساسية للعمل والمعارف والتكنولوجيا والإدارة والرساميل، تنبثق سويًّا، وجعل جميع الينابيع لخلق الثروات الاجتماعية تتدفق بصورة مستفيضة. وفي الوقت نفسه، علينا إجادة معالجة العلاقة بين الحيوية والانتظام، إذ أنَّ التنمية الاجتماعية تحتاج إلى الإفعام بحيوية، لكن هذه الحيوية يجب عليها أن تتحرك بانتظام. ولا يجوز أن يقع الأمر في بركة من المياه الراكدة، ولا في تيار خفي هائج.

«لنُوَحِّدَ أفكارنا فعلاً لتوفيقها مع روح الدورة الكاملة الثالثة للجنة المركزية الثامنة عشرة للحزب الشيوعي الصيني» (يوم ١٢ نوفمبر عام ٢٠١٣) مجلة «البحث عن الواقع» العدد الأول لعام ٢٠١٤

نقول علينا أن نوطد الثقة الذاتية بطريقنا ونظريتنا ونظامنا، ونملك روحًا وقوة إيمان راسختين كالصخر، وأيضًا قوة مادية جبارة لدعم هذه الروح وهذا الإيمان.

وذلك يتطلب الاعتماد على مواصلة الإصلاح والإبداع لجعل نظام الاشتراكية ذات الخصائص الصينية أكثر فعالية من النظام الرأسمالي في مجالات تحرير القوى المنتجة الاجتماعية، وتطويرها وتحرير الحيوية الاجتماعية وتقويتها ودفع التنمية الشاملة للإنسان، وأكثر قدرة من النظام الرأسمالي على إذكاء حماسة كل الشعب ومبادرته وإبداعه، وعلى توفير ظروف صالحة للتنمية الاجتماعية وعلى الفوز بالتفوقات النسبية في المنافسات، مما يجسد أفضلية نظام الاشتراكية ذات الخصائص الصينية بصورة مستفيضة.

«لنُوَحِّدَ أفكارنا فعلاً لتوفيقها مع روح الدورة الكاملة الثالثة للجنة المركزية الثامنة عشرة للحزب الشيوعي الصيني» (يوم ١٢ نوفمبر عام ٢٠١٣) مجلة «البحث عن الواقع» العدد الأول لعام ٢٠١٤

إنَّ هدف دفع عجلة الإصلاح هو تعزيز التحسن والتطور الذاتيين للنظام الاشتراكي في الصين باستمرار، وإضفاء نشاط وحيوية جديدة على الاشتراكية. والجوهر في ذلك هو التمسك بقيادة الحزب وتحسينها والتمسك بنظام الاشتراكية ذات الخصائص الصينية وتحسينه، وإذا انحرفنا عن هذا الجوهر؛ فسنكون كَمَنْ يُوَجِّهُ عربته شمالاً وهو يقصد الجنوب.

«كلمة الرئيس الصيني في الجلسة الكاملة الثانية للدورة الكاملة الثالثة للجنة المركزية الثامنة عشرة للحزب الشيوعي الصيني» (يوم ١٢ نوفمبر عام ٢٠١٣).

مسيرة الإصلاح الممتدة لخمسة وثلاثين عامًا، لم تكن رياحها مواتية في كل مرة؛ فقد مرت بمنعرجات، ولكنها حققت منجزات تاريخية بفضل التمسك بالاتجاه السديد وحسن القيادة ومعالجة المشاكل في حينها. وفي الوقت الحاضر، يواجه الإصلاح في الصين ظروفًا محلية ودولية معقدة للغاية، حيث تجيش بشكل متزامنٍ المفاهيم الأيديولوجية والمطالبات ذات المصالح الخاصة بكل أنواعها. وبدون الصلابة الاستراتيجية القوية جدًّا، لن نستطيع جَسَّ نبضِ الإصلاح بدقة من خلال الأعراض

السطحية للعديد من الأمور المعقدة، وكتابة الوصفة الطبية الصحيحة للإصلاح وسط مختلف الآراء.

«كلمة الرئيس الصيني في الجلسة الكاملة الثانية للدورة الكاملة الثالثة للجنة المركزية الثامنة عشرة للحزب الشيوعي الصيني» (يوم ١٢ نوفمبر عام ٢٠١٣).

يوجد في المجتمع الكثير من الآراء والمقترحات التي تستحق التفكير العميق منا، ولكن بعضها يميل نحو التطرف. كما أنَّ بعض القوى المعادية، وبعض المغرضين، يلوحون برايات ويطبلون، ويخلقون رأيًا عامًّا مُضَلِّلاً يهدف لبلبلة الأفكار، ويضعون تعريفًا للإصلاح زاعمين أنه مجرد تغيير باتجاه النظام السياسي الغربي، وليس بإصلاح. واتضح من ذلك أنَّ لهم غرضًا خفيًّا، وأن وراء الأَكِمَّة ما وراءها. فعلينا أن نرى الأشياء بوضوح كوضوح النار المُوقَدَة، والمحافظة على صلابتنا السياسية وتحديد موقعنا السياسي.

«كلمة الرئيس الصيني في الجلسة الكاملة الثانية للدورة الكاملة الثالثة للجنة المركزية الثامنة عشرة للحزب الشيوعي الصيني» (يوم ١٢ نوفمبر عام ٢٠١٣).

«أثناء حكم الدولة، يجب العمل حسب القوانين والأعراف، والاهتمام بالأصل والفرع في آنٍ واحدٍ، وإدارة الحكومة بطريقة سديدة، بحيث يمكن إنجاز كل شيء، والحفاظ على نجاحه» وأمام الوضع المعقد والمخاطر والاختبارات بمختلف أنواعها، علينا أن نمتلك الجُرأة على تحدي الأخطار والحماسة في الصقل، وأن نثابر دومًا على الاحتفاظ بزمام المبادرة في أيدينا، ونُغَيِّرُ بلا تردد كل ما يجب ويمكن تغييره، ونحافظ بثبات على ما لا يجوز تغييره، كما يجب علينا أن نخلق ظروفًا مواتية ؛لتغيير كل ما يجب تغييره، ولكن تنقصه شروط التغيير، وأن نُغَيِّر مُبَكِّرًا كل ما يجب تغييره عاجلاً، ونُغَيِّرُ تدريجيًّا ما لا يمكن تغييره سريعًا. وعلينا أن نمضي قُدُمًا في الإصلاح المُقَرَّر تنفيذه، سعيًا وراء تحقيق النجاح في أسرع وقت ممكن.

«كلمة الرئيس الصيني في الجلسة الكاملة الثانية للدورة الكاملة الثالثة للجنة المركزية الثامنة عشرة للحزب الشيوعي الصيني» (يوم ١٢ نوفمبر عام ٢٠١٣).

لقد ظلَّ الإصلاح الجاري تحت قيادة حزبنا، إصلاحًا شاملاً. وجوهر الفصل هو ما الذي يجب أن نُغَيِّرَهُ، وما الذي يجب ألا نُغَيِّرَهُ، إذ أنَّ هناك بعضٍ من الأشياء لا يمكن تغييره أبدًا، مهما طال الزمن، ولا يمكن اعتبار ذلك إحجامًا عن الإصلاح. إنَّ هدفنا في مواصلة دفع عجلة الإصلاح هو حفز قضايا الحزب والشعب إلى التطور الأفضل، وليس مجاملة «لتصفيق» من قبل بعض الناس، ولا يجوز تقليد النظريات والمفاهيم الغربية بلا تفكير. ولا بُدَّ لنا من دفع الإصلاح قُدُمًا تحت القيادة، وعلى خطوات انطلاقًا من الظروف المحلية وواقعية التنمية الاقتصادية والاجتماعية في الصين، دون السعي وراء تأثيرات الضجَّة والمجاملة، بل يجب التمسك دومًا بالاتجاه السديد للإصلاح والانفتاح.

«كلمة الرئيس الصيني في الجلسة الكاملة الثانية للدورة الكاملة الثالثة للجنة المركزية الثامنة عشرة للحزب الشيوعي الصيني» (يوم ١٢ نوفمبر عام ٢٠١٣).

إلى أين ندفع عصرنة نظام حكم الدولة، والقدرة على الحكم؟ هذا سؤال ذو أهمية أساسية، لا بُدَّ من إجابته جيدًا. ولا بُدَّ من الفهم التام للهدف العام لتعميق الإصلاح والانفتاح على نحو شامل والتمسك به، حين التفكير في هذا السؤال. إنه ككل يتكون من جملتين، الأولى «وجوب تحسين نظام الاشتراكية ذات الخصائص الصينية وتطويره» والثانية «وجوب دفع عصرنة نظام حكم الدولة والقدرة على حكمها» وهنا العلاقة بين الجملتين. فقد حَدَّدَت الجملة الأولى الاتجاه الأساسي لنا، وهو طريق الاشتراكية ذات الخصائص الصينية، وليس طريقًا آخر. وكما أقول دائمًا، علينا أن نتمسك بثبات بسلوك طريق الاشتراكية ذات الخصائص الصينية، دون أن نسلك الطريق القديم المتسم بالانغلاق والتحجر فكريًّا، ولا طريق الضلال المتمثل في تغيير الراية. أما الجملة الأخيرة، فقد حددت الاتجاه الواضح لتحسين نظام الاشتراكية

ذات الخصائص الصينية وتطويره، بإرشادٍ من الاتجاه الأساسي. ولم يكن القول كاملاً إلا بالجملتين معًا. والقول بالجملة الأخيرة دون الأولى، غير كامل ولا شامل.

«كلمة الرئيس الصيني في الندوة الخاصة بتعميق الإصلاح على نحو شامل في إطار دراسة وتطبيق روح الدورة الكاملة الثالثة للجنة المركزية الثامنة عشرة للحزب الشيوعي الصيني بحضور كبار القادة على مستوى المقاطعة والوزارة» (يوم ١٧ فبراير عام ٢٠١٤).

إنَّ أنماط الحياة تختلف على بعد ١٠٠ ميل، والعادات تتباين على بعد ١٠٠٠ ميل. إنَّ ماهية نظام الحكم الذي تختاره أي دولة، يقررها التوارث التاريخي والتقاليد الثقافية ومستوى التنمية الاقتصادية والاجتماعية لهذه الدولة، ويقررها شعب الدولة ذاتها. وقد جاء نظام حكم الدولة في الصين اليوم نتيجة للتطور الطويل الأمد والتحسن التدريجي والنشوء المتولد داخليًّا على أساس التوارث التاريخي والتقاليد الثقافية والتنمية الاقتصادية والاجتماعية في الصين. إنَّ نظام حكم الدولة في الصين يحتاج إلى التحسين والإكمال، ولكن يجب علينا أن نمتلك موقفًا وصلابة حول كيفية تحسينه وإكماله. إذا حاكينا نظام ونمط الآخرين عشوائيًّا دون مراعاة الظروف المحلية، فسنكون على غرار «من يرسم نِمّرًا فتخاله كلبًا» وذلك النظام أو النمط المُحَاكِي لن يسهم في تسوية القضايا الواقعية، بل سيؤدي إلى نتائج خطيرة بسبب عدم تأقلمه في البلاد.

«كلمة الرئيس الصيني في الندوة الخاصة بتعميق الإصلاح على نحو شامل في إطار دراسة وتطبيق روح الدورة الكاملة الثالثة للجنة المركزية الثامنة عشرة للحزب الشيوعي الصيني بحضور كبار القادة على مستوى المقاطعة والوزارة» (يوم ١٧ فبراير عام ٢٠١٤).

علينا ألا ننسى أبدًا «الثقة الذاتية بطريقنا ونظريتنا ونظامنا» إنها بالضبط روحنا القومية! وبدون الثقة الذاتية الراسخة بنظامنا، من المستحيل أن نجرؤ على

تعميق الإصلاح على نحو شامل وفي المقابل؛ لن تكون الثقة الذاتية بنظامنا، بكل ما في الكلمة من معنى، ولأمد طويل، في حالة غياب الإصلاح المتواصل. نعمل على تعميق الإصلاح على نحو شامل، ليس لأنَّ نظام الاشتراكية ذات الخصائص الصينية غير جيد، بل لجعله أحسن؛ وندعو إلى ضرورة ترسيخ الثقة الذاتية بالنظام، ليس بقصد الإحجام عن التقدم، بل بهدف إزالة مساوئ الأنظمة والآليات باستمرار، لكي يكون نظامنا ناضجًا ودائمًا. فلا بُدَّ لنا من الوقاية من الوقوع فيما يُسَمَّى «شرك الدخل المتوسط» وفي «فخ التغريب والتفريق» أيضًا.

«كلمة الرئيس الصيني في الندوة الخاصة بتعميق الإصلاح على نحو شامل في إطار دراسة وتطبيق روح الدورة الكاملة الثالثة للجنة المركزية الثامنة عشرة للحزب الشيوعي الصيني بحضور كبار القادة على مستوى المقاطعة والوزارة» (يوم ١٧ فبراير عام ٢٠١٤).

●●●

obeikandl.com